هوامش

اليوم، تحلّ الذكرى الخامسة والثلاثون لكارثة تشيرنوبيل. وتأتي هذه المناسبة وسط غياب السياح الذين كانوا يقصدون موقع المحطة النووية السابقة. فأمور كثيرة تبدّلت في خلال عام من أزمة كورونا

سياح ما قبل كورونا غير بعيد عن المحطة المنكوبة (جينيا سافيلوف/ Getty)

سياحة تشيرنوبيل

تراجع «المغامرات» في زمن كورونا

موسكو ـ **رامي القليوبي**

بعد أكثر من ثلاثة عقود على كارثة محطة تشيرنوبيل النووية في جمهورية أوكرانيا السوفييتية، لم يعد محيط المحطة المنكوبة يُصنَّف منطقة ميتة، بل تحوّل إلى محمية طبيعية تقطنها مختلف أنواع الحيوانات البرية، وإلى مقصد لآلاف السياح الراغبين في التعرّف إلى هذه المنطقة المهجورة المثيرة لاهتمام العالم أجمع. لكنّ سياحة المغامرات التي كانت قد شهدت تطوراً كبيراً على الرغم من مخاطر زيارة المنطقة، بحسب التقديرات، لم تصمد أمام جائحة كورونا وتداعياتها في خلال عام من الأزمة، عام كامل من القيود الصارمة على حركة السفر حول العالم أجمع، ما أدى إلى تراجع عدد زوار تشيرنوبيل بمقدار نحو أربعة أضعاف في العام الماضي.

توضح نائبة رئيس شركة «تشيرنوبيل تور» الأوكرانية التي تنظم رحلات إلى منطقة المحطة ورئيسة اتحاد مرشدي تشيرنوبيل، كاتيرينا أصلاموفا، لـ«العربي الجديد»، أنّه «حتى الآونة الأخيرة، كانت حركة السياحة إلى تشيرنوبيل تتزايد عاماً بعد عام. وبحسب الإحصاءات الرسمية، بلغ عدد السياح الذين قصدوا المنطقة المحظورة 50 ألفاً في عام 2017، و75 ألفاً في عام 2018، قبل أن يبلغ 125 ألفاً في عام 2019. لكنّ عدد السياح تراجع بشكل حاد منذ بدء جائحة كورونا، ليبلغ 35 ألفاً فقط في عام 2020، علماً أنّ 80 في المائة منهم أوكرانيون». وعبّرت أصلاموفا عن أملها بـ«استقرار الوضع الوبائي حول العالم قريباً وعودة سياحة تشيرنوبيل إلى النمو».

وعند السؤال عن مدى أمان الرحلات إلى تشيرنوبيل، تجيب أصلاموفا بأنّها «آمنة تماماً، بشرط التزام كل تعليمات المرشدين والقواعد البسيطة الخاصة بزيارة المنطقة المحظورة. فالسياح لا يتحركون إلا على المسارات الآمنة للصحة، التي خضعت لمراجعة الهيئة الحكومية المختصة. وعلاوة على ذلك، يخضع كل سائح لقياس المستوى الإشعاعي مرتين في خلال مسيره للاطمئنان إلى أنّ التلوّث الإشعاعي لا يتجاوز المعدل المسموح به، وأنّ لا جزيئات مشعة على الملابس والأحذية». تضيف أصلاموفا أنّه «في خلال يوم كامل من التجوّل في منطقة تشيرنوبيل، يتلقى الزائر جرعة من الأشعة تعادل ساعة أو اثنتَين من التحليق على متن طائرة. يعني ذلك أنّكم تتلقّون في أثناء سفركم إلى أوكرانيا جرعة أكبر من الأشعة قياساً بما تتعرّضون إليه في أثناء زيارة المنطقة المحظورة».

وفي ما يتعلق بدوافع السياح لزيارة تشيرنوبيل، تقول إنّ «هذه المنطقة موقع فريد من نوعه لا مثيل له في العالم، وهي شاهدة على حدث تاريخي يجمع مئات الآثار التقنية والثقافية الفريدة، ويظهر قوة الطبيعة التي استعادت نفسها بعد واحدة من أكبر الكوارث التكنولوجية. ومنطقة تشيرنوبيل تجذب أناساً من مختلف البلدان والفئات العمرية، من علماء ومتخصصين في شؤون البيئة ومؤرخين ومصورين وباحثين ومحبي ألعاب الكمبيوتر وطلاب راغبين في استيعاب أحد أبرز أحداث القرن العشرين». وبحسب أصلاموفا، فإنّ مهمة منظمي الرحلات إلى المنطقة المنكوبة تتلخّص في «زيادة الاهتمام بتاريخ منطقة تشيرنوبيل وتعزيز معرفة الزائرين في مجالي الفيزياء وعلم الأحياء الإشعاعي، ودفعهم إلى الشعور بالاحترام تجاه الذين عملوا على إزالة تداعيات الكارثة وأنقذوا العالم منها».

تجدر الإشارة إلى أنّ أسعار الرحلة إلى موقع محطة تشيرنوبيل تبدأ من نحو 65 دولاراً أميركياً للفرد بدل رحلة ليوم واحد وتصل إلى نحو 400 دولار لرحلة تستغرق بضعة أيام شاملة الإقامة في أحد فنادق مدينة تشيرنوبيل الواقعة على بعد نحو 12 كيلومتراً من المحطة المنكوبة.

وتُعَدّ حادثة تشيرنوبيل التي وقعت في أثناء اختبار في مفاعل الوحدة الرابعة للمحطّة ليل 26 إبريل/ نيسان من عام 1986، أكبر كارثة نووية شهدها العالم، وأدت إلى انبعاث 190 طناً من المواد المشعة، وهو ما يفوق التلوّث الناجم عن الهجوم النووي الأميركي على مدينتَي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتَين في عام 1945 بمئات الأضعاف. وعلى أثر الكارثة، هُجّر أكثر من 100 ألف شخص من المدن والبلدات المحيطة بالمحطة، لتتحوّل المنطقة إلى أرض مهجورة خالية من السكان. ونظراً إلى تلوّث المنطقة المحيطة بالمحطة بالنظائر المشعّة، فرضت السلطات السوفييتية منطقة محظورة امتدت على بعد 30 كيلومتراً من المحطة في أوكرانيا وبيلاروسيا، نظراً إلى وقوعها على الحدود بين الجمهوريتَين السوفييتيتَين السابقتَين. أمّا المفاعل المنكوب نفسه، فعُزل بغطاء مؤقت ليُستبدل في نهاية عام 2016 بغطاء خرساني جديد عمره الافتراضي قرن كامل، الأمر الذي يسمح بإخراج المواد المشعة من المحطة.

باختصار

موقع محطة تشيرنوبيل تحوّل إلى محمية طبيعية وإلى مقصد لآلاف السياح الراغبين في التعرّف إلى المنطقة المهجورة المثيرة للاهتمام

■■■

تراجع عدد السياح بشكل حاد منذ بدء جائحة كورونا، ليبلغ 35 ألفاً فقط في عام 2020 بعدما كان 125 ألفاً في عام 2019

■■■

يتلقى الزائر جرعة من الأشعة تعادل ساعة أو اثنتَين من التحليق على متن طائرة، أي إنّه يحصل في أثناء سفره إلى أوكرانيا على جرعة أكبر

وأخيراً

أدبيات الجائحة

محمود الرحبي

اختصرت جائحة كورونا جميع أدبيات الجوائح عبر العصور، فما ألّف، خلال أكثر من عام من الجائحة من أدبيات وتفاصيل عما فرضته من عزلة وقوانين صارمة، يفوق كل ما قدمته الإنسانية، عبر العصور، في هذا السياق من مؤلفات ومرويات. وإذا كانت أدبيات الجائحة في ما مضى تصدُر مدوناتها بعد وقتٍ من حدوثها، شهدنا مع كورونا إصدارات خرجت في عام الجائحة نفسه، وخصوصاً عام 2020 الذي شهد أوج الإصدارات المتعلقة بها، حيث عبّر كتّابٌ عن انطباعاتهم في ظل حصار كورونا، وأصدروها في كتبٍ ونشروها. والنزوع نحو تدوين الجوائح ليس وليد كورونا، بل له محطات عبر التاريخ العربي. فبالعودة إلى عصر ما قبل التدوين، أول ما يصل إلينا مشافهة، الحادثة في زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، حين كلف أبا عبيدة بن الجراح قيادة أحد جيوش الفتح، وفي الطريق وصلت أخبار إلى الخليفة، أن الطاعون منتشر في المكان المقصود، فطلب من القائد الرجوع إلى المدينة. وفي ذلك دلالة على واقعية الخليفة وحسّ المسؤولية لديه، ولكن أبو عبيدة ردّ عليه معاتباً: أتهرب من قضاء الله؟ فكان رد عمر لا يقلّ بلاغة: أهرب من قضاء الله إلى قضاء الله. فخطب أبو عبيدة في الجنود، وخيّرهم بين الاستمرار في المشاركة أو التراجع امتثالاً لطلب الخليفة، فتراجع بعضهم، وتقدّم أبو عبيدة مع الفصيل الذي بقي معه، فهلكوا جميعهم بسبب الطاعون. وفي زمن التدوين تراكمت لدينا أدبيات متعلقة بالطواعين، بأعداد وافرة وموزّعة عبر العصور، مثل كتاب ابن خاتمة الأندلسي «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد» الذي فصل فيه أحداث الطاعون الذي اجتاح العالم، ووصل إلى الأندلس عام 1348، ويعتبر هذا الكتاب وثيقة نادرة في هذا السياق، وكتاب «الطب المسنون في دفع الطاعون» للطبيب ابن حجفة، وكتاب «الطواعين» لابن أبي الدنيا، وكتاب «بذل الماعون في مرض الطاعون» لحافظ العسقلاني، وكتاب «النبأ عن الوبا» لزين الدين بن عمر الوردي، وكثير غيرها. بالنسبة إلى الأوروبيين وتدوينهم في ما يتعلق بالجوائح، يمكن الحديث عن مجموعة من الأخبار والمرويات والكتب، لكن أقدم وثيقة معروفة هي رواية «ديكاميرون» للإيطالي جيوفاني بوكاتشيو من القرن الرابع عشر. وتحتوي على مائة حكاية على شاكلة ألف ليلة وليلة، يرويها سبع شابات وثلاثة شبان يلتجئون إلى بيت معزول، هرباً من الموت الأسود الذي أصاب مدينة فلورنسا. ومن أهم الأخبار التي يمكن ذكرها في السياق الأوروبي، ما حدث للفيلسوف الألماني هيغل، حين توفي صديقه وأستاذه الفيلسوف فيختة في برلين بالطاعون، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فاعتزل هيغل الناس مدة طويلة. ثم حين ظن أن المرض بدأ يختفي، والكنائس قد فتحت أبوابها، خرج من بيته وتحرك بحذر شديد، لكنه على الرغم من ذلك الحذر والحيطة، أصيب بالطاعون ومات. وحديثاً، بسبب وفرة الإصدارات عن جائحة كورونا، بادرت دار خطوط وظلال الأردنية إلى تخصيص فرع من إصداراتها تحت مسمى «سلسلة مرويات الفايروس»، صدرت ضمنها كتب أنجزها مؤلفوها ونشروها في زمن الجائحة، وهي تبث لنا حرارة تفاعلهم وتفاصيله مع العزلة التي فرضها انتشار فيروس كورونا، من أمثلتها الكتب: «في قبضة الكابوس - ثلاثون يوماً من الحصار» للسوري جان دوست، و«أحلم بالرصيف» للأردني محمد العامري، و«مسافر في البيت» للجزائري عبد الرزاق بوكبة، و«أرخبيل الفزع» للمغربي أنيس الرافعي، و«الست كورونا» للفلسطيني عادل الأسطة، وغيرها.

> يدخل النزوع نحو تدوين تفاصيل الجوائح والطواعين والكوارث العامة في باب التوثيق، وهو ضروري لحفظ التفاصيل

ويدخل هذا النزوع نحو تدوين تفاصيل الجوائح والطواعين والكوارث العامة في باب التوثيق، وهو ضروري لحفظ التفاصيل وبقائها، كما حدث مع كتب القدماء، فلو لم تُوثَّق، لصعب علينا معرفة شيء من أحداثها. وغير بعيد عن ذلك، الفقرة المعبرة للجاحظ «ولولا الكتب المدوّنة، والأخبار المخلدة، والحكم المخطوطة، لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر؛ فالكتاب هو الذي قيّد على الناس كتب علم الدين وحساب الدواوين».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**